

تحقيق

أحزاب في الوقت الضائع



بدر تيار المردة إلى إعلان أكاديميته السياسية التي تخرّج فيها الصيف الماضي 183 ناشطاً وناشطة (أرشيف - عليا حاجو)

منذ انتهاء الانتخابات
النيابية نسمع بين فترة
وأخرى هذا أو ذاك من الأحزاب
السياسية يعلن بدء ورشته
التنظيمية، أو قرب انتهاء
الورشة، أو إعلان وثيقة
سياسية، من دون أن يؤدي هذا
العمل التنظيمي إلى أكثر من
إعداد ماكينات انتخابية غير
مدفوعة الأجر

نائر غندور

اللحظة التي فُتحت فيها صناديق الاقتراع في الانتخابات النيابية في حزيران 2009، فُتحت أبواب التنظيم الداخلي للأحزاب اللبنانية. هناك من خسّر فخر ليقول: «يجب أن أرتب وضعي التنظيمي لاستعيد القدرة على البقاء حياً سياسياً»، وهذه حالة تنطبق على حزب الاتحاد الذي يرأسه الوزير السابق عبد الرحيم مراد، فتولّى نجله حسن التنظيم؛ وتنطبق على التنظيم الشعبي الناصري الذي يرأسه النائب السابق أسامة سعد؛ وحزب التحرر العربي الذي كلف الرئيس عمر كرامي نجله فيصل إدارة تنظيمه؛ وهناك من دخل الندوة البرلمانية واكتشف أن الأسلوب القديم في بناء الزعامة السياسية لم يعد كافياً للإبقاء على الحيثية الشعبية، وهو ما ينطبق على تيار المردة، تيار المستقبل، التيار الوطني الحر؛ فيما دخلت أحزاب قديمة في ورشة إعادة التجديد وأبرزها القوات اللبنانية وحزب الكتائب والحزب التقدمي الاشتراكي.

ويقول مسؤولون في هذه الأحزاب إن الورش التنظيمية تأجلت مراراً بسبب الأوضاع السياسية التي عاشها البلد منذ اغتيال المغدور رفيق الحريري في عام 2005، بحيث لم تكن تسمح للمسؤولين الحزبيين بالتفرغ لإدارة الملفات الداخلية، بل تركّز العمل على تعبئة الجمهور وإبقائه في حالة تاهب واستعداد لأي تحرّك في الشارع. لكن هذه الورشات لا تعدو كونها محاولات لتحسين صورة «الزعيم» وتوفير ماكينة انتخابية جاهزة وقت الطلب، وجمهور جاهز للتحرّك؛ من دون وجود أي رؤية فكرية أو اقتصادية حقيقية، وإذا وجدت على السورق فلا أحد يريد تطبيقها. والدليل الأساسي على ذلك، غياب المنظمات الشبابية عن أي حراك طالبى أو مطلبى، منذ انتهاء الانتخابات النيابية، وبقي في الشارع بضعة شبّان يساريين يطالبون بتحسين الوضع الاقتصادي.

إذاً، بعدما دخل البلد في حالة «جمود» التحرك في الشارع، دخلت هذه الأحزاب في ورشتها التنظيمية، مستفيدة من هذا

الفراغ في التحركات. فكان تيار المردة من المبادرين إلى إعلان أكاديميته السياسية، التي تخرّج فيها الصيف الماضي 183 ناشطاً وناشطة، «يُصقلون ويُدربون عملياً»، يقول المسؤول الإعلامي في التيار المحامي سليمان فرنجية، مضيفاً أن هذا سيكون الطريق إلى تسليمهم مهامهم تدريجياً. ويضع فرنجية عنواناً لهذا العمل، هو «الارتقاء من الحالة الفوضوية إلى الأداء المنظم». وترافق هذا، في رأي فرنجية، مع تطور في الأداء السياسي بحيث «أصبحنا مقبولين من خصومنا». يضيف: الظروف السياسية وبرامجاتية

المردة يُساعدان على إنجاز عملية البناء الحزبي. ويُشير في هذا المجال إلى الانتشار الهائل والمدروس الذي ينفذه تياره في جبل لبنان. لكن هذا لا يلغي واقع أن فرنجية ليس قادراً حتى الآن على الارتقاء بتنظيمه إلى حالة حزبية متفاعلة، وغير قادر على فرض وجود حقيقي خارج منطقة زغرنا.

في مقابل هذا الهدوء في المردة، قرّر التنظيم الشعبي فتح «جبهات الاشتباك» مع خصمه الأول تيار المستقبل، وذلك بعد انتهائه من ورشة تنظيمية أنجز خلالها مجموعة من التعيينات في عدد من المواقع، وأنهاها بنقد للتجربة الماضية، خلص فيها إلى أن المهادنة لا تنفع بشيء مع تيار المستقبل.

أما الزميل الناصري للتنظيم الشعبي، أي حزب الاتحاد، فبعدها تلقى ضربة قاسية في انتخابات 2009، قرّر بدء عملية بناء حزب، «فنحن كنا حالة شعبية»، يقول حسن مراد، المسؤول عن هذه العملية. ويعمل الرجل على إقامة سلسلة ورشات عمل، تهدف إلى بناء كادر شبابي يستطيع قيادة الحزب بطريقة علمية ومنظمة، ويعتمد على الالتزام الحزبي لا على حالة التعاطف.

ويكتمل المثلث الناصري، مع المرابطون في بيروت، حيث يُحاول العميد مصطفى حمدان إعادة إحياء هذا التنظيم الموجود في النجاة منذ عام 1986، من خلال سلسلة إجراءات، وإعداد وثيقة سياسية للمرابطون تتبنى خيارى العروبة والمقاومة.

لكن هذا المثلث الناصري لا يزال يعيش

على ردّ الفعل تجاه تيار المستقبل، ويضع بين من يرى ضرورة عدم التهجّم على الرئيس سعد الحريري، كي يبقى على الحيثية في الواقع السني، وبين من يرى إلى الهجوم على الحريري وسبلة لإعلان وجوده السياسي. كما أن هذا المثلث في حاجة شبه دائمة لاعتراف الحليف الأساسي بوجوده، أي حزب الله. وفي طرابلس، يُردد فيصل كرامي، منذ سنوات، أنه يعمل على بناء حزبه، لكن لا دلائل حقيقية على هذا العمل. في المقابل، يبرز عمل الرئيس نجيب ميقاتي الهادئ، تحت عنوان ضبط مؤسساته وربطها كلها بهيئة تنسيق أو مكتب سياسي، ويجري الإعداد أيضاً لإطلاق وثيقة سياسية. وبحسب مقرّبين من ميقاتي، فإنه لا يعمل تحت تأثير الوقت، بل يُصنّ على العمل البطيء إنما المجدي، «لكن هذا لا يؤكد أن ميقاتي سينجح»، يقول مقرّب آخر.

غير أن الورشة الأكبر التي شهدتها البلد أخيراً هي الورشة التنظيمية التي نفذها تيار المستقبل والتي أنتجت قيادة تقاسمها المؤثرون في المستقبل، أي رئيس الحكومة سعد الحريري، وعمته النائبة بهنّة الحريري ونجلها، نادر وأحمد، والرئيس فؤاد السنيورة. وقد جهد عدد من الخبراء في إنجاز سلسلة من الوثائق السياسية والاقتصادية، التي لا تشبه مسار عائلة الحريري في المجال الاقتصادي. وواجهت تعيينات المستقبل وورشته التنظيمية سلسلة من الاعتراضات في عدد من المناطق. لكن أحمد الحريري يعمل للاستفادة من تجربة الانتخابات البلدية لبناء تنظيم قادر على التفاعل السياسي والانتخابي مع قيادته السياسية. وقد انطلقت هذه الورشة بعد المؤتمر التأسيسي الذي عُقد في البياض في 25 و26 تموز، تحت عنوان «شهادتنا أساسنا»، حيث تضمنت كلمة الحريري في الافتتاح وثيقة سياسية.

القوات اللبنانية انتظرت طويلاً لتبدأ ورشة إعادة التنظيم، بعد خروج «حكيمها» من السجن بعفو خاص. ويُشير أحد المسؤولين فيها إلى جلسة كان من المفترض أن تكون تنظيمية، يوم كان سكين سمير جعجع في بزمار، «فإذ بنا تلقى خبر اغتيال النائب وليد عيّد»، وذلك للدلالة على ما كان سائداً.

بدأت ورشة القوات في نيسان الماضي، على أن تنتهي في نهاية هذا العام، لكنها قد تتأجل قليلاً بسبب التوتر السائد»، يقول أحد المسؤولين، مشيراً إلى أن سؤدة النظام الداخلي باتت بين يدي القوات وهي تخضع للنقاش.

ويعيش حزب الكتائب ورشة منذ وصول النائب سامي الجميل إلى قيادته، إذ يجري الاستعداد لإطلاق الكثير من «التطويرات» في البويبيل الماسي للحزب في 18 كانون الأول المقبل. ويستمر الأمر لمدة سنة، حيث ينتهي بمؤتمر عام، وهي ورشة يواجهها من جهة اعتراضات داخلية، ومن جهة أخرى اكتساح قوّاتي. لكن الأهم هو غياب الرؤى السياسية الواضحة، أو بمعنى آخر، تبني طموحات سياسية بعيدة عن أرض الواقع.

ما يجمع بين هذه القوى الثلاث، هو كونها تعيش حالة «إحباط» بعد الفوز الانتخابي والهزيمة السياسية، وتحول ثورة الأرز وقوى 14 آذار إلى سيارة معطلة لا يعمل فيها إلا الراديو. وهذه القوى لا تستطيع الخروج من تاريخها، وهي تعيش على رصيد بنكي، اسمه الماضي، وهي تسحب منه أكثر مما تدخل إليه، ما يجعلها، بحسب بعض الخارجين منها، تتجه بخطى ثابتة إلى الإفلاس السياسي، لذلك هي بحاجة إلى دعم سياسي.

وفق أحد الحزبيين القدماء، إن ما يجري هو فولكلور لتعريف الوقت الميت وإشغال الحزبيين بأمور داخلية، كي لا ينتبهوا إلى أن هناك أموراً أخرى، معيشية أو داخلية بحق لهم أن يطالبوا بها. المسؤولون الحزبيون يقولون إنهم يستثمرون الوقت الميت لتطوير العمل الحزبي، وهو تطوير لم يظهر على الأرض بعد.

بعدها دخل البلد
في حالة الجمود دخلت
الأحزاب في ورشتها
التنظيمية

